شـــرح:

كتاب الكبائر

لِمُؤَلِّفِهِ الْإِمَامِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

ابن الجزري
مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي
٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الريحم، مالك يوم الدين، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،إله الأولين والآخرين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، المبعوث رحمة للعالمين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ يوم الدين، ورضي الله عن آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الخيار الأكرمين.

أَمَّا بَعْدُ،

فمعاشر الفضلاء؛ نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعل اجتماعنا في مسجد أُسِّس علىٰ التقوىٰ من أول يوم، ونسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل هذا اللقاء مما ينفعنا في ديننا ومما نسر به عند لقاء ربنا سُبْحَانَهُ وتعالىٰ.

فمعاشر الفضلاء؛ مستعينين بالله عَزَّ وَجَلَّ نواصل شرحنا لكتاب الكبائر للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المُسْلِمِيْنَ، ونعوذ بالله من كل كبيرة، ونسأل الله أن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا من الراشدين، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا. فيتفضل الابن النور الدين وفقه الله عَزَّ وَجَلَّ والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في كتابه الكبائر: الكبيرة السادسة: عقوق الوالدين.

(الشرح)

هذه الكبيرة متعلقة بحقوق الناس، وهي أول كبيرة يذكرها الذهبي من هذا الجنس، أعني من الكبائر المتعلقة بحقوق الناس، وبدأ بها رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الجنس لأن أعظم حقوق الناس علىٰ

الإنسان حقوق أقاربه، وأعظم وألزم حقوق أقاربه حقوق والديه، فكان عق وقطع حق الوالدين أكبر المُتَعَلِّقَة بحقوق الناس، وذلك أن أعظم الناس إحسانًا إلىٰ الإنسان والداه، ومن أراد أن يعرف عظم إحسان والديه إليه فليتفكر فيما أشار الله عَزَّ وَجَلَّ إليه مما يعينه علىٰ برهما، وذلك أن يتفكر في حاله وهو صغير، وحال والديه معه وهو صغير، بل قبل أن يُولد.

قال ربنا سُبْحَانَهُ وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، فتأمل - رعاك الله- كيف ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ أن الأم علىٰ ضعفها تحمل ولدها في بطنها، فتزداد ضعفًا علىٰ ضعف، تحمله كرهًا أي أن هذا الحمل يُكره من جهة ما فيه آلام ومشاق، ويُكرِه لأنه سبب في هذه الآلام، وتضعه كرهًا أي أنه مما يُكره لما فيه من عظم الألم، ومما يُكرِه لتسببه في هذا الألم، ومع ذلك ما إن تضعه حتىٰ تحن عليه، وتضمه إلىٰ صدرها، ويدر لبنها عليه، ما تدفعه عنها لحظة، مع أنها قبل قليل كانت تتألم الألم العظيم الذي يجعلها تكره الحمل، وتكره السبب فيه، ومع ذلك تضم وليدها ضمة حنان، وترضعه ويدر عليه حليبها.

والأب مع ذلك يتحمل ما يتحمل من قلق وتعب وسعي في الرزق من أجل أولاده؛ ولذلك الحظ يا أخي أنه مع أن التعليل ذُكرت فيه الأم فإن الوصية كانت بالوالدين؛ لأن الأب يتعب ويعاني ما يعاني من أجل أولاده، ثم ترضع الأم ولدها سنتين تأكل وتنوع الطعام من أجل حليب ولدها، وهذا الرضاع قد يسبب لها ما يسبب، ومع ذلك فهي تُرضعه وتحرص علىٰ إرضاعه، ثم يأتي وقت التربية حيث يكون الوالدان المربيين للولد صغيرًا وهو الذي أشار إليه ربنا سُبْحَانَهُ وتعالىٰ في قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

ومهما كان حال الوالدين مع الولد فإن صحبتهما بالمعروف لا تسقط بل تظل قائمة، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. هذان أبوان يأمران الولد بأقبح ما يكون، بالشرك بالله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، ومع ذلك لا يسقط حقهما في الصحبة بالمعروف،

فكيف بأبوين مسلمين؟ تصور أن هذا الأب لم يحسن إحسانًا كاملًا أو مرضيًا لهذا الولد، أو أن هذه الأم لم تحسن إحسانًا كاملًا أو مرضيًا لهذه البنت، هي والله أو هو والله أحسن من الذي يأمره بِالشِّرْكِ، أحسن من المشرك، فإذا كان حق الوالد المشرك الذي يسعىٰ جاهدًا لأن يشرك ولده في الصحبة بالمعروف لا يسقط بهذا فما دونه مما يكون من المسلمين من باب أولىٰ.

ومهما فعل الوالدان، ومهما أمر الوالدان، فإن هذا لا يبيح عقوقهما، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أطعْ والدَيكَ وإنْ أخرجاك مِن مالِكَ، ومِن كلِّ شيءٍ هوَ لكَ» رواه الطبراني وحسنه الألباني.

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَعُقَّنَّ والدَيكَ، وإنْ أمَراكَ أنْ تَخرُجَ مِن أهلِكَ ومالِكَ» رواه أحمد وحسنه الألباني، فينبغي علىٰ الولد أن يدرك حق الوالد مادام أنه والد، أمًا كانت أو أبًا، وعقوق الوالدين من العق، والعق هو القطع والشق، فهو قطع حق الوالدين من الإحسان إليهما وحسن الصحبة لهما وإرضائهما، سواء كان ذلك كُلًا أو جزءًا، والاستخفاف بهما، وأذيتهما بقولٍ أو فعل، عقوق الوالدين هو قطع حق الوالدين بما يكون إما بالإساءة فيقطع الإحسان ويأتي بالإساءة، وإما بعدم حسن الصحبة، وإما بإغضابهما، وإما بالاستخفاف بهما، ومن الاستخفاف بهما أن يستحي منهما عند أصحابه وأقرانه، يستحي أن يقدم أباه لأصحابه، تستحي أن تقدم أمها لصاحباتها، هذا من العقوق، من الاستخفاف بالوالدين. وكذلك كل ما يؤذي الوالدين من قول أو فعل أو إشارة، يدخل في العقوق. وَالمُصَنِّف هنا رَحِمَهُ اللهُ لم يذكر كل ما ورد في الكتاب وَالسُّنَّة وآثار السلف، فإن هذا لو تُتُبِّع لكان كتابًا كبيرًا، مجلدًا ضخمًا، ولكنه ذكر شيئًا مما ورد في الكتاب وَالسُّنَّة حول هذه الكبيرة، عقوق الوالدين.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

(الشرح)

(**وقضىٰ ربك**) أي: حكم وألزم، ربك الذي اوجدك من العدم ورباك بالنعم، ألا تعبدوا إلا إياه، هذا حق الله، العبادة حق الله الخالص، ليس لمخلوق فيها نصيب، مهما علىٰ شأنه، المخلوق عابد

لا معبود، والعبادة كلها لله، فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد أشرك شركًا أكبر، لو أن إنسانًا دعا دعوة واحدة لملك من الملائكة، دعا الملك، أو دعا الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو دعا وليًا، فإنه يشرك بذلك شركًا أكبر، العبادة كلها صغيرها وكبيرها حق الله، وقد حكم الله وألزم أن لا نعبد إلا إياه، وهذا حصر مطلق. وبالوالدين إحسانًا؛ ربنا أتبع حقه سُبْحَانَهُ -وهو أعظم الحقوق- أتبعه حق الوالدين الذين جعلهما سُبْحَانَهُ وتعالىٰ سببًا في تربية الولد، الله رب الولد، فهو ربه، أوجده من العدم ورباه بالنعم، وجعل الوالدين سببًا لتربية الولد، فجعل الله حقهما تاليًا لحقه سُبْحَانَهُ وتعالىٰ.

فالله حكم وألزم بالإحسان إلىٰ الوالدين وهذا يشمل كل أنواع الإحسان، سواء كانت قولية أو عملية، خفية أو ظاهرة، يعني خفية ليست أمام الوالدين ولا يعلم بها الوالدان، كالدعاء لهما في ظهر الغيب، وذكرهما ذكرًا حسنًا في غيبتهما. أو ظاهرة يريانها ويعلمانها، كل إحسان دخل في هذا الإحسان الذي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به، وهذا في جميع أحوال الوالدين، لكنه يتأكد في حال ضعف الوالدين وكبر الوالدين؛ لأن هذا مظنة أن يصدر من الوالدين ما يغيظ الولد، وكما يقولون بتعبيرات ما يستفز الولد، فيتأكد في هذا المقام الإحسان إليهما بأنواع الإحسان، ولهذا الإحسان ضابطان يستعملهما الإنسان، فحيثما وُجد واحد منهما استُعمل:

الضابط اَلْأَوَّلُ: أن تقدر أنك أنت الوالد، فما الذي تحب أن يعاملك به أولادك؟ ما الذي تتمناه؟ ما الذي تحبه في معاملة أولادك لك؟ فما كنت تحب وتأمل أن يعاملك به أولادك فعامل به والديك وزيادة، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وسلم «مَن أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهو يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلىٰ النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إلَيْهِ» رواه مسلم في الصحيح. فهذا الضابط اَلْأَوَّلُ.

الضابط الْثَّانِي: أن كل حسن صحبة بين الناس فالوالدان أحق به، كل حسن صحبة بين الناس، بين الإنسان وصديقه، بين الإنسان وزوجته، بين الإنسان وأولاده، فالوالدان أحق بهذا الحسن من الصحبة، «جَاءَ رَجُلٌ إلىٰ رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، مَن أَحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أَبُوكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

من أحق الناس بحُسن صحابتي؟ حسن صحبتي الذي أعامل به الناس، أحسن ما أعامل به الناس، من أحق الناس به؟ قَالَ: «أمك»، طيب ثم من؟ قَالَ: «أمك»، طيب ثم من؟ قَالَ: «أمك»، طيب ثم من؟ قَالَ: «أبوك». إذًا يا رعاك الله استعمل هذين الضابطين لتعرف الإحسان الذي تعامل به والديك.

(إما يبلغن عندك الكِبر أحدهما أو كِلَاهُمَا)؛ أي إذا وصلا إلىٰ حالة من الضعف والاحتياج، وهذا مظنة أن تتضجر منهما ومن طلباتهما، فلا تتضجر منهما بأي تضجر، ولو بقول أف، هذا الهواء الذي من السهل أن يخرج اضبطه، حتىٰ هذا الهواء الذي إذا انزعج الإنسان وتضجر يخرج بسهولة اضبطه، إياك أن تخرجه أمام والديك، فمن باب أولىٰ ألا تتضجر منهما تضجرًا واضحًا بقول، كأن تقول أنا تعبت، إلىٰ متىٰ وأنا في هذا الحال، أو ما في غيري من الأولاد، ما أجمل كلمة قالها بعض العُلَمَاء، قالوا: (إذا كان والداك يطلبان منك أكثر من إخوانك فقد أراد الله بك الخير)، افرح أن الله اختصك بهذه المكرمة، أن والديك يرتاحان لك، يرتاحان للطلب منك، لا تقل لماذا لا يُطلب أخي فلان، لماذا لا يوصلك أخي فلان؟ افرح، احمد الله أنه سُبْحَانَهُ أراد بك الخير، وإياك أن تتضجر.

(ولا تنهرهما)؛ أي لا تزجرهما، وهو درجات، فقد يكون الزجر برفع الصوت فقط، برفع الصوت، أن ترفع صوتك علىٰ والديك أو علىٰ أحدهما فوق المعتاد، هذا زجر. وقد يكون الزجر برفع الصوت مع الإشارة كأن يشير الإنسان بيده ونحو ذلك. وقد يكون الزجر برفع الصوت مع التعالم، يرفع صوته علىٰ والديه ويتعالم عليهما، أنا أحسن منكم، أنا أعلم منكم، اسمعوا كلامي، أنا الذي تعلمت، أنا الذي درست في المدينة، أنا الذي درست في الجامعة، أنا الذي أصبحت دكتور، لا تفعلوا هٰذَا، أنا أعلم، أنا أعرف بالخير منكم. وقد يكون برفع الصوت مع إغلاظ الكلام، الإغلاظ في العبارة. وقد يكون برفع الصوت مع السب والشتم. كل هذا يدخل في النهر، وهو درجات بعضها أشد من بعض.

(وقل لهما قولا كريمًا)؛ انتقي أطيب الكلام، وأجمل الكلام، وألين الكلام، لوالديك، ألطف الكلام اجعله لوالديك، ما تعرف أنهما يحبانه استعمله.

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)؛ أي: تواضع لهما تذللًا لا خوفًا منهما، ولا رجاءً لما عندهما، ولا حياءً من الناس، وإنما من باب التذلل لهما، حَتَّىٰ لا تمتنع عن شيء يريدانه أو يحبانه،

إذا علمت أن أباك يحب شيئًا ما لم يعتدي -كما سيأتي في آخر الكلام إِنْ شَاءَ اللهُ- فإنك لا تمتنع، بل قد يبلغ بك الكمال أن تحب ما يحبه والدك، ليس فَقَطْ أن لا تمتنع عما يحبان، يصل بك الأمر أن تحب ما يحبه والداك، إذا عرفت أن والدك مثلًا بعد المغرب يحب أن يذهب إلىٰ فلان ويجلس مع فلان تصبح أنت تحب أن تذهب معه أو أن تأخذه إلىٰ ذلك المكان مع عدم اعتداء الأب والجمع بين المصالح كما سيأتي في آخر الكلام في درس الأسبوع القادم إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا)؛ من أعظم الإحسان أن تدعو لوالديك أحياءً وأمواتًا، رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا، قد رحماني صغيرًا ما يرجوان شيئًا، وإنما هي الرحمة، الأب يتعب ويسعىٰ في طلب الرزق ولربما قدمني أنا الولد علىٰ نفسه، لا يرجو مني شيئًا وأنا ضعيف صغير، ويربيني علىٰ الخير وعلىٰ الدين، وأمي كذلك، إنما ذلك من باب الرحمة فيا رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا. وفي هذا يا إخوة في ختم الآية بهذا تعليم للوالدين أن حسن التربية في الصغر سببٌ للبر في الكبر، من أسباب بر الأولاد بوالديهم حسن التربية في الصغر، ولذلك يقول العلماء كلما زاد حرص الأب أو الأم علىٰ تربية الابن في الصغر زاد بر الابن في الكبر إلا أن يشاء الله شيئًا آخر، لكن هذا من حيث الأسباب.

والحظ ملحظًا عظيمًا في هذه الآية في حق الوالدين، جمع الله بين الأمر وَالنَّهْي، والعلماء يقولون إذا جُمع في الشيء الواحد بين الأمر والنهي فهذا تأكيد لعظم شأنه، الله أمر بالإحسان إلىٰ الوالدين ونهىٰ عن التضجر منهما ونهرهما، وأمر بالقول الكريم لهما وبخفض الجناح لهما، فهذا يدل علىٰ عظم شأن بر الوالدين، وإذا عظم شأن بر الوالدين قبح شأن عقوق الوالدين؛ لأنه يقابله في الضد، والله هنا أمر بالإحسان ونهىٰ عن بعض العقوق.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

(الشرح)

هذا الذي أشرنا إليه، ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨]، أحسن إليهما حتىٰ ولو جاهداك علىٰ أن تشرك بالله، ما أمراك فَقَطْ بل جاهداك، أحسن إليهما

لكن لا تطعهما في معصية الله، لكن أمرهما لك بأعظم معصية وهي الشرك لا يسقط حقهما في الإحسان، وفي الصحبة بالمعروف.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟»، فذكر منها عقوق الوالدين، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشرح)

قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثَلَاثًا، قالوا: بَلَىٰ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: الإِشْرَاكُ باللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»، فجعل عقوق الوالدين بعد الإشراك بالله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، وهذا كما في القُرْآن، الجمع بين حق الله وحق الوالدين، جعل حق الوالدين تاليًا لحق الله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، وعقوق الوالدين كما عرفنا هو قطع حقهما، قد يكون بالإساءة، قد يكون بالإغضاب، قد يكون بالمعصية، قد يكون بالكلام، قد يكون بالفعل، قد يكون بالإشارة، كلها تدخل في عقوق الوالدين وهي كبيرة من كبائر الذنوب، انتبه أن تلوح بيدك في وجه أبيك هذه كبيرة من كبائر الذنوب، مجرد التلويح الذي يؤذي أمام الأم أو أمام الأب هذه كبيرة من كبائر الذنوب، أن يقول الولد لأبيه مثلًا لماذا لم يرزقني الله أبًا غيرك؟ هذه كبيرة من كبائر الذنوب، أن تقول البنت لأمها ابتلاني الله بك، هذه كبيرة من كبائر الذنوب، فعلىٰ الإنسان أن يحذر، هذه من أكبر الكبائر، ليست حرامًا فَقَطْ، وليست كبيرة فَقَطْ، بل من أكبر الكبائر، نعوذ بالله من سوء الحال.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «رِضىٰ اللهِ في رضىٰ الوالد، وسَخَطُ اللهِ في سخط الوالد» صحيح.

(الشرح)

هذا الحديث رواه بهذا اللفظ ابن حبان وصححه، وصححه الذهبي كما سمعنا، وعند التِّرْمِذِيّ: «رضىٰ الْرَّبّ في رضىٰ الوالد، وسخط الْرَّبّ في سخط الوالد»، وصححه الألباني.

(**رضىٰ الرب في رضىٰ الوالد**)؛ يعني أنك إن أرضيت والدك رضي الله عنك، من أسباب اكتساب رضىٰ الله أن ترضي أباك، أن ترضي أمك، اعلم يقينا أنك إن أرضيت أباك في غير معصية الله يرضىٰ

الله عنك، إن أرضيت أمك في غير معصية الله يرضىٰ الله عنك، وإن أسخطت أباك أو أسخطت أمك فإن الله يغضب عليك ويسخط سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، وهذا يكفي لأن يجعل الولد حريصًا علىٰ إرضاء والديه. بعض الناس يخاف أن يغضب والده عليه من أجل ألا يدعو عليه، ولو ما دعا عليه يرتاح، وهذا حسن أن تتجنب دعاء والديك عليك، لكن القضية أعظم من هٰذَا، القضية أنك إن أغضبت والديك أغضبت الله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، وإذا أغضبت الله ماذا ترجو من الخير! أما إن أرضيت والديك رضي الله عنك، وإذا رضي الله عنك أرضاك سُبْحَانَهُ وتعالىٰ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وعنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الوالد أوسط أبواب الجَنَّة، فإن شئت فاحفظ، وإن شئت فضيع»، صححه التِّرْمِذِيّ.

(الشرح)

هذا الحديث الذي رواه الترمذي وصححه الألباني معناه أن الوالد أبًا كان أو أمًا خير أبواب الجَنَّة وأعدلها وأوسطها وأيسرها، فإن شئت أيهال الولد، ذكرًا كنت أو أنثىٰ فاحفظ هذا الباب، واسلك هذا الطريق لتدخل الجنة بفضل الله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، وإن شئت فضيع هذا الباب، ولا تسلك هذا الطريق فتكون سالكًا طريقًا إلىٰ النار -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، ومن ضيع حقوق والديه فقد فتح علىٰ نفسه أبواب الشر، وسار في طريق النار -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، يا أيها الولد إن هذا الأب الذي تراه وهو معك، قويًا كان أو ضعيفًا، هو خير أبواب الجنة لك، في إيمانك، في توحيدك مع صلاتك، خير أبواب الجنة لك هذا الأب، هذه الأم التي تراها هي خير أبواب الجنة لك، وأيسر أبواب الجنة لك، فإن شئت فاحفظ هذا الباب قبل أن يُغلق، قبل أن تفقد هذا الأب، قبل أن تفقد هذه الأم، احفظ هذا الباب واسلك هذا الطريق لتصل إلىٰ الجنة بفضل الله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ، فإن لم تفعل الغالب أنك ستندم في الدنيا، عندما تفقد هذا الأب تفقد القوة التي تشعر بها وهو حي ولو كان أشل علىٰ فراشه، إذا نظرت في عينيه تحس بأمان، تحس بقوة، تحس بطمأنينة. هذه الأم التي مهما كبرت الحنان الأكبر عندها، تأتي مهمومًا فتنظر إليها فيذهب همك، نعمة، والإحسان إليهما مكرمة، فإذا فقد الإنسان الأب والله حتىٰ لو لم يكن محسنًا إليهما سينكسر، سيشعر بانكسار، إذا فقد الأم سيفقد شيئًا عظيمًا من هذه الدنيا، سيندم، يتمنىٰ لو يرجع هذا الأب أو ترجع هذه الأم ليحسن إليهما لحظة، وهذا -

كما سيأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ- من العقوب المعجلة للعاق، هذا الندم الذي يحرق القلب من العقوبة التي تعجل في الدنيا، وإن لم يندم، إن بلغ من القسوة أن لا يندم علىٰ إساءته لوالديه وعدم برهما حتىٰ بعد موتهما فإنه متوعد بالعذاب الشديد يوم القيامة إذا لقي الله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ.

وكما هو مُدرك الوالدان نعمة لا يدرك حقيقتها إلا من فقدهما. فالذي ينبغي أيها الإخوة أن نعرف لوالدينا فضلهم وإحسانهم، وأن نعلم أن مهما فعلنا -كما سيأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ- لن نرد جميلهم، الواحد منهم كان يعطينا وهو يرجو أن نعيش، بل والله لو خُير أن يعطينا من عافيته لأعطانا من غير سبق معروف منا، ونحن نعطيهما جزاء معروفهما، ونحن نعلم أنهما يوشكان أن يودعا هذه الدنيا، لكن والله إن الموفق منا من يدرك البر ولو يومًا، وَالحَمْدُ للهِ أن الله جعل لمن فاته والداه برًا آخر سنتكلم عنه إِنْ شَاءَ اللهُ في آخر الدرس القادم.

فلعلنا نقف عند هذه النقطة، ونكمل إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الدرس القادم. أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلني وإياكم من الحريصين علىٰ إرضاء الله عَزَّ وَجَلَّ، الحريصين علىٰ البر بالوالدين أحياءً وأمواتًا.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ أَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ